

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

@ 306 @ ونشأ بها فى نعمة أبيه وكان أبوه كاتباً فى العمارة السلیمانية بالمیدان الاخضر وكان ذا ثروة عظيمة يضرب به المثل فى كثرة المال وجده یونس رومى ورد فى خدمة السلطان سليم لما جاء الى دمشق واستخلصها من أیدی ملوك الجراكسة وأما لطفی هذا فان والده مات وهو فى سن خمس وعشرين تقريبا وخلف له ما ینیف على عشرين ألف ديناراً ومن الملبوس الفاخر والاملاك شيئاً كثيراً فسلک أولاً طریق العلم فقراً ودأب وأخذ الصرف والنحو والمعانى عن العلامة الكبير علاء الدين بن عماد الدين الاحدب وأخذ الفقه والاصول عن علماء ذلك العصر والحديث والتفسير عن البدر الغزى وأتقن فنونا كثيرة وتأدب كثيراً ونقلت من خط الحسن البورىنى أنه رافقه فى القراءة على فاضل الشرق العماد السمرقندى لما ورد دمشق صحبة الوزير حسن باشا ابن محمد باشا قال وقرأنا عليه المعقولات فتشاركنا فى هداية الحكمة والمنطق والهيئة وكنا كل يوم نقرأ عليه فى درس واحد وذلك فى فن واحد لا غير وفى يوم آخر نقرأ دروساً فى غير ذلك وكان ذلك الدرس الواحد يطول من كثرة التحقيقات من مطلع الشمس الى وسط النهار وكان العماد المذكور فى المعقولات كالسعد التفتازانى فى عصره فاستمرت قراءتنا عليه فى تلك الفنون الثلاثة مدة ثلاث سنين انتهى ثم بعد ذلك تنقلت بلطفی الاحوال وابتلى فى بصره من كثرة الرمد والوجع فقل نظره جداً من تراكم الوجع على عينيه فكان له شوق لحفظ كلام الله تعالى قيل انه اشترى جارية حسناء وكانت تقرأ القرآن أحسن قراءة فحفظه منها أتم حفظ وكان له طلبية يطالعون له الكتب بأجرة وهو يحفظ ما يسمع من العبارات من قراءتهم حتى حفظ كتباً كثيرة فى سائر الفنون فصار آية عظيمة فى جميع الفنون خصوصاً فى فنون الادب برمتها وكان اذا أراد ايراد شئ من هذه الفنون يملأ العبارات كما هى من حفظه ثم ترك القراءة واشتغل بهوى نفسه وعاشر القينات والغلمان ومما اتفق له أنه تعشق ولدين للشرفى يحيى بن شاهين الصالحى أحدهما يدعى ابراهيم والآخر درويشاً وكانا بارعين فى الجمال وصرف عليهما جميع ما اقتناه من تراث أبيه وكان يوقد بحضرتهما فى مجلس المدام ثلاث شموع من الشمع العسلى ويضع فى كل واحدة ما يزيد على خمسين ديناراً فكلما ذاب منها شئ يسقط دينار فيتناوله أحد الغلامين ودام على هذا زماناً حتى فقد منه المال وأثرى ابراهيم وصار ذا دائرة واسعة وبقي هو صفر اليدين وآل أمراه الى بيع